

الإسلام

بحث عقائدي مبسط

بقلم

سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى

السيد الحسنی (دام ظلّه)

مقدمة:

من الواضح جداً الفرق بين الفكر الإسلامي الشرعي وغيره من الأفكار المادية، فالثابت إنَّ الرأسمالية والماركسية تقيِّم العمل وتعطيه درجة في الصلاح على أساس ما يؤتیه من الثمار المادية والمنافع الفردية كما في الرأسمالية أو المصالح الطبقية كما في الماركسية. أما الإسلام فإنَّه يرى أنَّ العمل يستمد قوَّته وصلاحه من الدوافع لا من المنافع، ولذلك اهتمَّ بدوافع العمل لا بمنافعه، فلا عمل إلا بِنِيَّةٍ، وما لم تتوفر النية الصالحة لا يكون العمل صالحاً، مهما كانت منافعه التي تنشأ عنه. فالشارع المقدس يتبنَّى تربية الإنسان ويستهدف قبل كلِّ شيء تكوين محتواه الداخلي وفقاً للمفهوم الشرعي المتوازن الصحيح،

ولهذا اعتبر العمل الصالح ما يصدر عن ذِيَّة خالصة
بحيث ينبثق عن عواطف وميول خَيْرَة تنسجم مع
الإيمان بالله واليوم الآخر وترجوا رضا الله سبحانه
وتعالى، وقد اشترط في صحة العمل والعبادة وقبولها
الذِيَّة واشترط في الذِيَّة الإخلاص بما يحقق الدرجة
العُليا من الرصيد الروحي والنفسي للفرد، وينظم
ويحقق علاقة الإنسان بأخيه الإنسان. فالأنبياء والأئمة
والصالحون (عليهم السلام) ما هزّوا الوجدان البشري
ولا أثّروا فيه ولا شقّوا الطريق للهدى الإلهي
والصلاح الاجتماعي إلّا لأنّهم كانوا يعيشون قضية
الله تعالى مع عباده ويتربّون بين يدي الله تعالى ساعات
وساعات.

فعلينا أن نعيش دائماً مراحل مسيرتنا بروية واضحة
وحُطى واثقة وثابتة، وعلينا أن نبذل الجهد ونضاعفه

لتحقيق ذلك من خلال معرفة معنى الإخلاص وكيف
أعطى الشارع المقدّس المعاني المختلفة للإخلاص بما
يحقّق الأغراض والأهداف السليمة. فلنحقّق معنى
الإخلاص من خلال أقوالنا وأفعالنا وعلى مدار ساعات
العمر. وأذكر لك في المقام هذا البحث المبسّط
المختصر وأرجو أن يكون فيه الفائدة لنا جميعاً،
ونسألکم الدعاء.

والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين

محمود الحسني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقيقة الإخلاص

حقيقة الإخلاص سِرٌّ من أسرار الله سبحانه وتعالى لا يعرفه إلا من أحبَّ الله وأحبَّه الله فأنعم عليه وقذف النور في قلبه واستودعه الإخلاص، كما ورد في الحديث القدسي {الإخلاص سِرٌّ من أسراري أستودعه قلباً من أحببتُ من عبادي}.

وإذا تحدَّثنا عن معاني الإخلاص فإنَّنا نتحدَّث عن بعض المعاني الظاهرية التي يدركها عقلنا القاصر ويتذوَّقها قلبنا المظلم، وبالتوكل على الله والاستعانة به سبحانه وتعالى أقول:

مقومات الشخصية الإسلامية المؤمنة:

إنَّ الشارع المقدَّس أصدر العديد من الأوامر والإرشادات للوصول بالإنسان إلى الرُّقِيِّ والتكامل، فيجب على كل إنسان امتثال ذلك والالتزام به وتجسيده في شخصيته. ويحصل هذا التجسيد بعد تقييم النفس ومراقبتها ومحاسبتها وفق المقياس الشرعي والأخلاقي، والوصول بها إلى التكامل بعد تمتّعها بالعلم، والتفكير، والتوكل، والصبر، والإيمان بالغيب، وغيرها.

والإيمان يترتب عليه عدَّة آثار منها ذكر الله ووجَل القلب وخشيته والإخلاص في العبودية، وتفصيل الكلام في مقام آخر إن شاء الله تعالى.

الإخلاص من مقومات الشخصية الإسلامية

قد عرفنا أن الإيمان بالغيب هو أحد مقومات الشخصية المسلمة وأن مما يترتب على ذلك ومن آثاره هو الإخلاص، وهذا معناه أن الإخلاص في العبادة من مقومات الشخصية الإسلامية:

الإخلاص في العبادة

والكلام في العبادة أولاً ثم في الإخلاص:

أولاً: العبادة

العبادة في اللغة هي غاية التذلل والخضوع والانقياد، ولذلك لا يستحقها إلا المُنعم الأعظم الحقيقي جدت

قدرته، ولكن لوجود إبليس والهوى والنفس والدنيا يُقال أنَّ العبادة تشمل كل سلوك، فبعضهم يعبد شخصاً وبعضهم يعبد هواه وثالث يعبد الله الحق الواحد الأحد. وقد صدر عن الشارع المقدس ما يشير إلى هذا:-

1- قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى

عِلْمٍ...﴾ الجاثية / 23.

2- وقوله تعالى:- ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ

اللَّهِ...﴾ التوبة / 31.

3- وقوله تعالى:- ﴿... وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً واحِداً لا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة / 31.

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): {من أطاع رجلاً في معصية الله فقد عبده}.

ثانياً: الإخلاص

بما أنَّ العبودية تمثِّل علاقة بين العبد والمعبود، فالعبودية بين الإنسان والله تعالى يجب أن تكون بالإخلاص لله وحده لا شريك له، فيكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾
البينة/5.

فالإخلاص هو الحجر الأساس في كيان العقائد والشرائع، وهو الشرط الأساس والواقعي في صحة وتزكية العمل وتطهيره وتنقيته وقبوله عند الله

تعالى، فيكون جزاء العامل رحمة الله ونعمته، والخلود في جنّاته، فيكون مصداقاً لقول أمير المؤمنين (عليه السلام): {طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما تراه عيناه، ولم ينسَ ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما أُعطي غيره}.

معنى الإخلاص

قلنا سابقاً أنّ حقيقة الإخلاص من أسرار الله تعالى، أما الإخلاص في اللغة فهو التمهيص والتصفية والتجديد والتخليص، والإخلاص في الطاعة هو ترك الرياء وتجريد النفس عن طلب المنزلة في قلوب الناس.

وقد استعمل الشارع المقدس بعض المعاني للدلالة على الإخلاص بالمعنى الظاهري بالمطابقة أو الالتزام، منها:

1. الإخلاص ضد الرياء، فهو ترك الرياء

ويشهد لهذا ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آباءه عن جده أمير المؤمنين (عليهم السلام): {الدنيا كلها جهل إلا مواضع العلم، والعلم كله جهل إلا ما عمل به، والعمل كله رياء إلا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختم له}.

2. الإخلاص هو التوحيد

لأنَّ الرياءَ شرك، ولأنَّ الإخلاصَ ضدَّ الرياء، ولأنَّ
الشركَ ضدَّ التوحيد، فينتج أنَّ الإخلاصَ توحيد،
ويشير إلى المقدمة الأولى (أنَّ الرياءَ شرك):

قوله تعالى: ﴿... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا
يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الكهف/110.

وما ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم):
{اني تخوفت على أمتي الشرك، أما إثمهم لا يعبدون
صنماً ولا شمساً ولا قمراً ولا حجراً، ولكنهم
يُراؤون بأعمالهم}.

3. الإخلاص هو موافقة ومطابقة السرِّ مع العَلَن

وهذا يبتني على أنَّ الإخلاصَ ضدَّ الرياء وأنَّ الرياءَ
هو عدم مطابقة السرِّ للعلن.

ويشير إلى هذا ما ورد عن النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم):

{سيأتي زمان... تخبت فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا، لا يريدون به ما عند ربهم، يكون دينهم رياء، لا يخالطهم خوف، يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم}.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): {ثلاث علامات للمرائي، ينشط إذا رأى الناس، ويكسل إذا كان وحده، ويحب أن يُحمد في كل أمره}.

4. الإخلاص هو النية والإصابة وخشية الله

ويشير إلى هذا:

ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قول الله
(عَلَيْكُمْ): ﴿... لِيُبْلِغَكُمْ إِلَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ هود/7. قال (عليه

السلام): {ليس يعني أكثركم عملاً، لكن أصوبكم
عملاً وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة}.

ثم قال (عليه السلام): {الإبقاء على العمل حتى يخلص
أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن
يحمدك عليه أحد إلا الله (عَلَيْكُمْ)، والنية أفضل من
العمل، ألا وإن النية هي العمل، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ

كُلُّ يَعْملُ عَلَيَّ شَاكِرًا...﴾ الإسراء/84، يعني على نيته}.

وما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام): {ما أخلص
عبد الإيمان بالله أربعين يوماً، إلا زهده الله تعالى في

الدنيا، وبصره داءها ودواءها، وأثبت الحكمة في قلبه،
وأنطق بها لسانه}.

وما ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم):
{من أخلص أربعين يوماً فجزَّ الله ينابيع الحكمة من
قلبه على لسانه}.

5. الإخلاص هو قبول الأعمال

وذلك لأنَّ الإخلاص ضد الرياء، والأخير فساد العمل
وعدم قبوله. يشير إلى هذا ما ورد عن النبي الأكرم
(صلى الله عليه وآله وسلم): {إنَّ الملك ليصعد بعمل
العبد مبهتجاً به، فإذا صعد بحسناته، يقول الله (عَلَيْكَ)
إجعلوها في سِجِّين إنَّ ليس إِيَّاي أراد به}.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): {لا يقبل الله عملاً
فيه مثقال ذرة من رياء}.

6. الإخلاص هو التحرر من إغواء الشيطان وأضاليه

ويشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ *

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ سورة ص / 82-83.

7. الإخلاص حُبُّ الله

فالحب هو التجرد والإخلاء عن كل شاغل سوى الله تعالى. ويشير إلى هذا ما ورد في الحديث القدسي: {يا داود إنَّكَ تزعم أنَّكَ تحبني، فإنَّ كُنت تحبني فأخرج حبَّ الدنيا عن قلبك، فإنَّ حبي وحبها لا يجتمعان في قلب}.

وعن الإمام الحسين (عليه السلام) في دعاء عرفات: {أنت الذي أزَلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا إلى غيرك}.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): {حب الله إذا أضاء
سرّ عبد أخلاه عن كلّ شاغل، وكلّ ذكر سوى
الله.... والمحّب أخلص الناس سرّاً لله، وأصدقهم قولاً
وأوفاهم عهداً وأزكاهم عملاً وأصفاهم ذكراً،
وأعبدتهم نفساً، تتباهى الملائكة عند مناجاته وتفتخر
برؤيته، وبه يعمر الله بلاده، وبكرامته يكرم الله عباده،
ويعطيهم إذا سألوه بحقه، ويدفع عنهم البلياء برحمته
ولو علم الخلق ما محله عند الله ومنزلته لديه ما
تقربوا إلى الله إلا بتراب قدميه}.

8. الإخلاص أفضل العبادات

ويشهد لهذا:

قوله تعالى: ﴿... فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلِلَّهِ الدِّينُ

الْخَالِصُ...﴾ الزمر / 2-3.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾

البينة/ 5.

وما ورد عن الإمام الجواد (عليه السلام): {أفضل العبادة الإخلاص}.

9. الإخلاص هو تحقير النفس

ويشير إلى هذا ما ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): {يا أبا ذر، لا يفقه الرجل كل الفقه، حتى يرى الناس في جنب الله أمثال الأباعر، ثم يرجع إلى نفسه فيكون هو أحقر حاقر لها}.

درجات الإخلاص

بما ان الإخلاص عند الانسان من الصفات النفسية، فهو قابل للزيادة والنقصان، وهذا يعتمد على محورين:

المحور الأول: عمق الإيمان

من الواضح أن مستوى الإيمان وعمقه يختلف من شخص إلى آخر، ويؤثر هذا في مقدار تفاعل الإنسان مع الحقائق الربانية، ويؤثر على مدى إدراكه أن الله ربه وخالقه وهو الذي يستحق العباد، وكلاماً غار هذا الإدراك في أعماق النفس، فإنه يحرك المشاعر والأحاسيس ويدفع إلى الطاعة الحقيقية والإخلاص الخالي من الشوائب.

المحور الثاني: تربية النفس على الإخلاص

بعد أن يدرك الإنسان المؤمن معنى الإخلاص وأثره في بناء الشخصية الإسلامية المؤمنة، عليه أن يربي نفسه على الإخلاص، وذلك بأن يلتفت إلى الإخلاص دائماً، فيجعل كل أقواله وأفعاله صغيرها وكبيرها

وكل حركاته وسكناته متصلة بالإخلاص ونقية من شوائب النية.

وتربية النفس على الإخلاص تشمل عدة مستويات منها:

المستوى الأول: النية عند أداء الطاعة والعبادة:

والثابت شرعاً أن النية الصحيحة والمقبولة على درجات مختلفة تنحصر بين درجتين:

الدرجة الدنيا: درجة الإخلاص المخلوط.

ففي هذه الدرجة تختلط النية ببعض الشوائب التي فيها غاية أخرى غير رضا الله تعالى، وفي هذه الحالة يكون العمل صحيحاً بشرط خلو النية من الرياء.

الدرجة العليا: درجة الإخلاص التام.

ففي هذه الحالة تتجرّد النية عن الشوائب كلها.

ووجود الشوائب وعدمها واختلاف مقدارها يعتمد على

عدة عوامل منها:

1- مستوى ايمان الشخص.

2- الحالة النفسية التي يعيشها أثناء العمل، فإنّ للنفس

إقبال وإدبار.

3- نوع العمل الذي يقوم به الشخص، فالعمل الذي

يكون موافقاً للهوى تتعرض نفس المؤمن لاحتمال

وجود الشائبة في إخلاصه بقيمة احتمالية أكبر.

أما في العمل المخالف للهوى والذي يَدْقَى مقاومة من

نفس الإنسان فمثل هذا العمل يكون أكثر احتمالاً

لتسجيل وتحقيق الإخلاص التام.

4- الالتفات قبل العمل إلى معنى الإخلاص، والاهتمام
بجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم سبحانه وتعالى.

5- مواجهة النفس بعد أداء العمل، وتقييمها
ومحاسبتها بالنظر في مقدار الشوائب، وخلوها من
ذلك.

المستوى الثاني: تعميم الإخلاص

عندما يكون همُّ الإنسان الأكبر هو إرضاء الله سبحانه
وتعالى، فإنه سيُجعل الصفة النفسية للإخلاص عامة،
وتشمل حتى تفكير الإنسان وعواطفه.

ومن الواضح أنّ درجة إرضاء الله تعالى تختلف من شخص إلى آخر، ومن حالة إلى أخرى، وتنحصر بين درجتين:

1- الدرجة الدنيا: وفيها لا يبغى المؤمن غير أن يتخلص من العقاب وأن يُسقط عنه الواجب، وفي هذه الحالة تكون نية الطاعة والإخلاص مقتصرة على أوقات الواجبات وبعض المستحبات (مثلاً)، أما باقي أوقاته فتصبح فارغة من نية الطاعة لله.

2- الدرجة العليا: وفيها يصبح هم العبد هو الله سبحانه وتعالى، ويصبح تفكيره خالصاً لله، وتتصاعد هذه الحالة أكثر وأكثر حتى تبدأ أحاسيسه وحببه وكرهه وغضبه ورضاه في التحول من جانب الأهواء إلى جانب رضا الله سبحانه وتعالى. وفي هذه الحالة تكون جميع أعماله لله، من الواجبات والمستحبات

وحتى المباحات بل والحركات والسكنات. ويتصاعد
الإخلاص عند المؤمن فلا يعيش إلا لله، وهذا هو
الإخلاص التام، وهو لا يحصل إلا عند من عانى وجاهد
وسعى في تربية نفسه وفي تنقية إخلاصه من
الشوائب. وقد ورد في الحديث القدسي: {الإخلاص سِرُّ
من أسراري استودعه قلب من أحببت من عبادي}.

بِحَمْدِ اللَّهِ

الفهرس

3مقدمة:
6حقيقة الإخلاص
7مقومات الشخصية الإسلامية المؤمنة:
8الإخلاص من مقومات الشخصية الإسلامية
8الإخلاص في العبادة
8أولاً:- العبادة
10ثانياً:- الإخلاص
11معنى الإخلاص
121- الإخلاص ضد الرياء، فهو ترك الرياء
122- الإخلاص هو التوحيد
133- الإخلاص هو موافقة ومطابقة السرّ مع العلن
144- الإخلاص هو النية والإصابة وخشية الله
165- الإخلاص هو قبول الأعمال
176- الإخلاص هو التحرر من إغواء الشيطان وأضاليه
177- الإخلاص حُبُّ الله
188- الإخلاص أفضل العبادات
199- الإخلاص هو تحقير النفس
19درجات الإخلاص
19المحور الأول: عمق الإيمان
20المحور الثاني: تربية النفس على الإخلاص
26الفهرس

طبع بموافقة المركز الإعلامي لمكتب
سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى
السيد الصرخي الحسني (دام ظله)

www.al-hasany.com

www.facebook.com/alsrkhy.alhasany

www.twitter.com/AnsrIraq

www.al-hasany.net

E-mail: info@al-hasany.net

كُلُّ الْحَقِّ
مَحْفُوظٌ